قرأتُ لولدي محمد عليه أشياء من ذلك، فسمعها عليه. وحَضَرْتُ الصَّلاة عليه بجامع دمشق، صَلَّى الإمام عليه، وعلى المؤذن المعروف بديك العرش ـ مؤذِّن بيت المقدس ـ في ساعةٍ واحدة؛ وكان هذا المؤذِّن مسنًّا، وابتلي بمرضٍ طويل ـ رحمه الله ـ وقبره بمقابر الصُّوفية.

ومما سمعه ابني محمد على ابن الشِّيرازي المذكور «صحيح مسلم»، بسماعه من الحَرَّاني، عن أبي عبد الله الفَرَاوي، عن الفارسي، عن الجُلُودي، عن إبراهيم، عن مُسْلم.

١٧٥ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وست مئة

في خلافة المستعصم بن المستنصر بن الظَّاهر بن النَّاصر، ومدينة دمشق يومئذٍ محاصرة.

ففي الثامن من محرَّم ضويقت مضايقةً شديدة، وقد اجتمع عليها عساكرُ عظيمةٌ من المِصْريين والخُوارَزْمية وغيرهم. ففي تلك الليلة أُحرق قَصْر حَجَّاج والشَّاغور، واستولى الحريقُ على مساجد وخانات ودورٍ عظيمة، ومن ذلك مسجد جراح خارج باب الصَّغير، وكان جامعاً تقامُ فيه الجُمُعات، ثم نُصِبَتْ على دمشق المجانيق، ورُميت به من بابَيْ الجابية والصَّغير، ونُصِبَتْ أيضاً مجانيق داخل البلد، وترامى الفريقان، وأُمِرَ بتخريب عمارة العُقَيبة خارج باب الفراديس، وباب السَّلامة، وباب الفَرَج[1]، وأُحرق حكر السُّماق خارج باب النَّصْر، واشتدَّ الغلاء، وعَظُمَ البلاء، وزادت أوقية البصل على نِصف دِرْهم، وبلغ التبن أن بِيْع وزناً كل أوقية بِقِرْطاس، ثم أُحرقت العقيبة في أول ربيع الأول.

(١) وقد خرب كذلك حمام القصير والدور والإسطبل والخان التي كان يملكها العماد الكاتب؛ قال أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٢/٤٢٩: قد خربت هذه الأماكن في سنة ثلاث وأربعين وست مئة بسبب الحصار، واستمر خرابها، وعفت آثارها، وصارت طريقاً على حافة بردى، وأنت خارجٌ من جسر الصفي، خارجَ باب الفرج، ماراً إلى ناحية الميدان.

وفيها في يوم الجمعة الرَّابع والعشرين من صَفَر توفي صاحِبُنا المحدِّث شرف الدِّين أحمد بن الجَوْهَرِي[١]، رحمه الله.

وكان فاضلاً، خَيِّراً، متواضعاً، متفضلاً، مفيداً، حريصاً على تحصيل المسموعات، رَحَلَ في طلب الحديث، وسَمِعَ، وحَصَّل الأصول، ثم توفي ـ رحمه الله ـ ودُفِنَ بالجبل، صَلَّينا عليه بجامع دمشق، وشيَّعناه إلى داخل باب الفَرَج، ولم يمكن الخروج لوجود الحصار المذكور.

ثم[٢] توفي بعده في سادس شهر ربيع الأول القوام الأصْبهاني، وكان كاتباً، فاضلاً، شاعراً.

والمعين الأرموي، وكان شيخاً ظريفاً، معمَّراً، في ثامن ربيع الأول[٢].

ثم توفي في ثالث عشر ربيع الأول المنتجب الهَمَذَاني، المقرئ[٣] بالمدرسة الزَّنْجيلية ـ رحمه الله ـ وكان مقرئاً مجوِّداً، قرأ على الشَّيخ أبي الجودِ بمصر، والعلامة أبي اليُمْن الكِنْدي، وانتفعَ بشيخنا أبي الحسن في معرفة قصيدة الشَّاطبي، ثم تعاطى شرح القصيدة، فخاضَ بحراً عَجَزَ عن سباحته، وجَحَد حقَّ تعليم شيخنا له وإفادته، والله يعفو عَنَّا وعنه[٤].

حَضَرْتُ الصَّلاةَ عليه بجامع دمشق، وشيَّعْتُهُ إلى داخل باب الفَرَج، ولم يمكن من الخروج معه لأجل حصار البلد.

---

(١) هو شرف الدين أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان الدمشقي، ابن الجوهري، له ترجمة في طبقات علماء الحديث، ٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢٦٤، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٥٩، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٥، الوافي بالوفيات: ٨/ ١٦٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٤، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٧.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١٢٦٥ ـ ١٢٦٦، العبر للذهبي: ٥/ ١٨٠، غاية النهاية: ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١، بغية الوعاة: ٢/ ٣٠٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٧.

(٤) قال الذهبي: آذى السخاوي في شرح أول بيت من الشاطبية بعبارةٍ نكدة.

ثم توفي في الثَّالث والعشرين منه التَّاج عبدُ الجليل الأبهري الصُّوفي، وكان من أهل الحديث، ذو سماعاتٍ كثيرة، وبخطِّه طِباقٌ جَمَّة، ونَسَخَ كثيراً من كُتُبِ الحديث والفِقْه، أسمعتُ عليه ابني محمداً، وله منه إجازة.

وفي ذلك اليوم مات الصَّفي؛ القارئ أمام الجنائز.

وقبلهما بيوم توفي النَّاصح سالم؛ قَيِّم دار الحديث النُّورية، رحمهم الله.

ثم توفي الشيخ حسن الصِّقِلِّي القَزَّاز، وكان من المشهورين بالصَّلاح، كلُّ ذلك في ربيع الأول.

وتوفي في ربيع الآخر سابع عَشَره الشيخُ الفقيه الصُّوفي كمالُ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن كَشَاسب الدِّزْمَاري[1]، رحمه الله.

وكان شيخاً صالحاً، فقيهاً، مشهوراً، من أصحابنا الشافعيين، متضلِّعاً من نقل وجوه المذهب وفهم معانيه، وهو أحدُ مَنْ قرأتُ عليه المذهب في صباي، وكان كثير الحَجِّ والخير، وقَفَ جميعَ كُتُبه، وفيها مصنَّفاتٌ جليلةٌ ـ تقبَّل الله منه ـ وهو الذي ذكره شيخنا أبو الحسن في خطبة تفسيره، وأثنى عليه، وكان يلازمُ حَلْقة شيخِنا وقتَ سماعِ التفسير، وفي أيام خَتَمات الطَّلَبة، رحمه الله.

وفي يوم الأربعاء السَّادس والعشرين من ربيع الآخر توفي الشيخ الفقيه
١٧٦ الإمام، مفتي الشَّام، تقي الدِّين، أبو عمرو عثمان بن الصَّلاح[2] ـ رحمه الله ـ

---

(١) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٩٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦، كشف الظنون: ١/ ٤٩٠.

ودِزْماري: نسبة إلى دِزْمار، وهي قلعة حصينة من نواحي أذربيجان قرب تبريز، وضبطها ياقوت بتشديد الزاي، «معجم البلدان»: ٢/ ٤٥٤.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥، طبقات علماء الحديث: ٤/ ٢١٤ ـ ٢١٧، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٤٠ ـ ١٤٤، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٣٠ ـ ١٤٣٣، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٧ ـ ١٧٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٢٦ ـ ٣٣٦، طبقات الشافعية للإسنوي، ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، =

بدار الحديث الأشرفية، وحُمِلَ على الأصابع إلى الجامع، فَصُلِّي عليه بعد صلاة الظُّهر، وكانت على جنازته هيبةٌ ووَقَار، وجمعٌ متوفر، ورِقَّةٌ شديدة، وإخباتٌ وخشوع، ثم خُرِجَ به إلى باب الفَرَج، ورَجَعَ النَّاسُ بسبب الحصار، وخَرَجَ معه نَفَرٌ دون العشرة إلى مقابر الصُّوفية، فدفن بها رحمه الله، و(١انضاف إليهم بعد ذلك جماعة١).

حضرتُ الصَّلاة عليه بالجامع، وشيَّعْتُه إلى باب الفَرَج، ومنه استفدتُ عِلْمَي الحديثِ والفِقْه صغيراً وكبيراً، وسَمِعَ عليه ابني محمد جُمْلةً من تصانيفه، ومعظم «السُّنَن الكبير» للبيهقي، وغير ذلك.

وبعده بيومين توفي التقي أحمد بن العز محمد بن الحافظ عبد الغني، المقدسي[٢] الحنبلي بجبل قاسيون.

وتوفي[٣ قبله بنحو من شهر ابنُ عمه أبو سليمان عبد الرحمن بن عبد الغني[٤]، وكانا من أئمة الحنابلة بدمشق وبالجبل، وكان أبو سليمان من الصَّالحين٣].

= النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٤، الأنس الجليل: ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥، طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

ومقدمته في علوم الحديث مشهورة بمقدمة ابن الصلاح، وقد ذاعت لها طبعات كثيرة.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥هـ) ـ وهو خطأ ـ، وسير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢١٢، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥، الوافي بالوفيات: ٨/ ٥٥، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، المقصد الأرشد: ١/ ١٧٤، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧١، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٧.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (ب).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، مشيخة ابن البخاري: ٤٤٢ ـ ٤٤٥، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٦ ـ ١٧٧، الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٥٩، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢، المقصد الأرشد: ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٧٧، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

وفي جمادى الأولى توفي شرف الدِّين بن قريش بدمشق، والقاضي الأشرف بن الفاضل[١] بمصر، بينهما سبعة أيام.

وفي ثالث جُمادى الأُولى[٢] توفي العز محمد بن تاج الأمناء أحمد بن محمد ابن عساكر[٣]، وكان كبير بيته يومئذٍ، وله عنايةٌ بعلم التاريخ.

ومات في ذلك اليوم العِزُّ محمد بن الخيسي؛ شابٌّ من المشتغلين بالعِلْم، المحصِّلين له، المجتهدين فيه، من أصحاب شيخنا أبي الحسن وأعزِّهم عليه ـ رحمه الله ـ شهدتُ الصَّلاة عليهما، وشيَّعْتُهما إلى داخل باب الفَرَج، وذُهِب به إلى الجبل، وبابنِ عساكر إلى مقبرة جَدِّه بباب الصَّغير.

وفي خامسه يوم الجمعة توفي الشيخ المُسْند تاج الدِّين أبو الحسن محمد ابن أبي جعفر[٤]، إمام الكلَّاسة، كان مسند وقته، ذو سماعاتٍ جَمَّةٍ صحيحة، وأصولٍ جليلة. وكان متواضعاً، خَيِّراً، ديِّناً، رحمه الله.

سمعتُ عليه أنا وابني محمد كثيراً. سَمِعَ من عبد المنعم حفيد الفَراوي، وأبي طاهر بركات الخُشُوعي[٥]، وأبي الفرج الثَّقفي، والحافظ أبي محمد[٦]،

---

(١) هو أحمد بن عبد الرحيم بن علي، له ترجمة في وفيات الأعيان: ٣/ ١٦٣، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢١١، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٥، الوافي بالوفيات: ٧/ ٥٧ ـ ٥٨، نزهة الأنام: ١٦٤، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٨.

(٢) في (ك) و(ع) و(س): زيادة: لما فتح دمشق، وهي ليست من أبي شامة، لأنه سيذكر أن فتح دمشق كان في ثامن جمادى الأولى، وسيأتي في تتمة الخبر أن أبا شامة لم يشيعه إلا إلى داخل باب الفرج، مما يدل على أن الحصار ما زال على دمشق.

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٥، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٦.
وقد استفاد أبو شامة من كتاباته التاريخية في هذا «المذيل».

(٤) له ترجمة في تكملة ابن الصَّابوني: ٣٢، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢١٧ ـ ٢١٨، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٩، الوافي بالوفيات: ٢/ ١١٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٥، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٦.

(٥) في النسخ الخطية: أبي البركات الخشوعي، وهو سبق قلم من أبي شامة، وقد سلفت ترجمة أبي طاهر ص١١٥ من الجزء الأول.

(٦) هو عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، وقد سلفت ترجمته ص ١٥٣ من الجزء الأول.

وعبد الوهَّاب بن سُكَيْنة، وابن طبَرْزَد، وحَنْبل، والقاضي أبي القاسم[١]، وأبي اليُمْن الكِنْدي وغيرهم.

حضرتُ الصَّلاة عليه بالجامع بعد صلاةِ الجُمُعة، وشيَّعْتُهُ إلى داخل باب الفرج، وكانت له جِنَازةٌ حَفْلة، وحُمِلَ على الأيدي، ودُفِنَ بجبل قاسيون عند أبيه وأخيه.

وفي ثامنه تحقَّق الصُّلْح، وزال الحَصْر عن البلد، ورحل ليلتئذٍ عن دمشق سُلْطانُها الصَّالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب، وصاحِبُهُ المنصور إبراهيم بن أسد الدِّين إلى بَعْلَبَكَّ وحِمْص. ودخل البلدَ من الغد في تاسع الشهر نائبُ صاحب مِصْر، وهو الصَّاحب معين الدِّين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدِّين، ونزل في دار سامة، وهي الدَّار المُعَظَّمية النَّاصرية، وزال الظُّلْم عن البلد والمصادرات، والخوف والوَجَل، جَعَلَه الله فتحاً مباركاً برحمته.

وفي يوم الجمعة ـ آخر جمعة في الشَّهر ـ توفي ولدي أبو الحَرَم محمد ـ جمعني الله وإياه في الجَنَّة ـ ودفنته عند أُمه بمقبرة ابن زويزان المجاورة لمقبرة الصُّوفية، على حافَةِ الطَّريق إليها ـ رحمهما الله وإيانا ـ وأنا كنتُ قابله وغاسِلَه، وبلغ من العمر ثماني سنين ونصفاً، وسَمِعَ من كُتُبِ الحديث وأجزائه، ومن سائر العلوم شيئاً كثيراً على جُمْلة من المشايخ؛ نحو مئة وأربعين شيخاً.

ثم[٢] توفيت أُخته زينب بعدَه بأربعة أيام[٢].

وفي ثالث جُمادى الآخرة توفي الشِّهاب محمد بن علي بن منصور اليمني، المعروف بابن الحجازي رحمه الله، وكان من فُضَلاء الشُّبَّان؛ هو وأبوه من

(١) هو عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري ابن الحرستاني، وقد سلفت ترجمته ص ٢٩١ من الجزء الأول.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

أصحاب شيخِنا أبي الحسن المختصِّين به، ودُفِنَ بجبل قاسيون، ولم أشهده
١٧٧ لأني كنتُ مريضاً[1].

(١) قال إبراهيم عفا الله عنه: وقفت على ورقتين من مكتبة برلين برقم (١٠٣ = ٧٧٧٢) فيهما قصيدة نسبها بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» القسم الثالث: ص٦٥ (الترجمة العربية) إلى أبي شامة، يشكو فيها بثَّه وحزنه إلى شيخه السخاوي، وقد ذكر أنها في أربعين بيتاً، غير أن ما وقع لي منها ثلاثة وعشرون بيتاً.
وقد نسب قطب الدين اليونيني في «ذيل مرآة الزمان»: ٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٧ القصيدة في أبياتها الأربعين إلى الفقيه المالكي أبي بكر جمال الدين محمد بن أحمد الواثلي الشريشي، وقد كتبها للسخاوي سنة (٦٤٠هـ) وأورد رد السخاوي عليها في تسعة وعشرين بيتاً، وهذا هو الصحيح في نسبتها، وقد أحببت إثباتها هنا من ورقتي مكتبة برلين، وفاتتني كلمات في ورقة سبقتها، إذ تبدأ بقوله:
«الأبيات المبهرجة عند الامتحان، العاطلة من حلي الإجادة والإحسان، أشكو إليه فيها بثِّي وحزني، وما استولت عليه هذه النفس العدوة مني، وأسأله كيف خلاص أسيرها من وثاقه؟ وكيف السبيل إلى هربه من جورها وإطلاقه؟ وهي هذه الأبيات:

أيا عالماً في النفس ليس له مِثْلُ ... وطُرّاً على الأخبار أضحى له الفَضْلُ
أيا علم الدين الذي ظلَّ عِلْمُهُ ... بحوراً عِذاباً منه يغترف الكُلُّ
لقد حزتَ من بين الأنام فضائلاً ... فمنها التُّقى والعِلْمُ والخُلُق السَّهْلُ
وهُدِّيت هَدْيَ الصالحين ذوي الهدى ... وصِنْتُك في المعروف ليس له مِثْلُ
تعلَّمُ دينَ الله ثُمَّ كتابَهُ ... على سَنَنِ الماضين أهْلِ الهدى قَبْلُ
نهارك تُقْرِيْه لمن جاء قارئاً ... وليلك في التَّهْجيدِ أجمعِهِ تَتْلو
فأنسأ ربي في حياتك إنها ... حياةٌ لها نفعٌ عن الخير ما تَخْلُو
وبعدُ فإني سيدي لك ذاكرٌ ... أموراً تداعيني وعندي لها ثِقْلُ
ولا بُدَّ من شكوى إلى ذي بصيرةٍ ... يريك سبيل الرُّشْد إن جارت السُّبْلُ
فأصْغِ إلى قولي أبثُّ صبابتي ... إليك وأحزاني فقد مضَّني الثُّكْلُ
أخي ما لقلبي قد قسا فكأنما ... عليه لذي وعظٍ وتَذْكِرةٍ قُفْلُ
فلا هو للقرآن يخشع إن تلا ... ولا للأحاديثِ أتْنَنا بها الرُّسْلُ
ولا يرعوي يوماً إلى وعظِ واعظٍ ... ولا عاذلٍ ينهى وإنْ كَثُرَ العَذْلُ
تريد الذي لا أستطيع لحظُها ... وبعض الذي تبغيه أيسره القَتْلُ
تكلِّفُني بذليَ للناس مُهْجتي ... وما عند حُرٍّ بَذْلُ مهجته سَهْلُ
فكيف خلاصي يا أخي من وَثَاقها ... وهل لأسيرِ النَّفْسِ من قَيْدِها حَلُّ =

وفيها ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة توفي شيخُنا عَلَم الدِّين أبو الحسن علي بن محمد السَّخَاوي[١] رحمه الله، علامةُ زمانه، وشيخُ عَصْره وأوانه، بمنزله بالتُّرْبة الصَّالحية، وصُلِّي عليه بعد الظُّهْر بجامع دمشق، ثم خُرِجَ بجنازته في جَمْعٍ متوفِّرٍ إلى جبل قاسيون، فَدُفِنَ بتربته التي في ناحية تربة بني صَصْرَى، خلف دار ابن الهادي[٢].

= فوا أسفى لهفي لما طال بي لقد ... وَهَتْ قوتي وانسدت[1] وجرى السَّيل
فويلُ أبي بكر إذا لم يكن لدى ... سريرته صدق لذي الله إذْ يتلو
لقد خِبْتُ إن لم يدركْني بفَضْلِهِ ... ورحمتِهِ ربٌّ له اللُّطْفُ والفَضْلُ
وها أنا مُشْهِدٌ فكن ليَ راشداً ... أبا حسنٍ فالرُّشْدُ أنتَ له أهْلُ
فلا زلت تهدي للرَّشادِ مريدَهُ ... على منهج عَدْلٍ فأنت الرِّضا العَدْلُ
وأحياكَ ربُّ الخلق تحيي كتابه ... مدى الليل والأيام تُتْلِيه أو تتلو
فنحن إذا أحياك للدِّين ربُّنا ... بخير ويُحيا ذلك الفَرْضُ والنَّفْلُ

فكتب إليَّ ـ رحمه الله ـ على ضعفه وكبره مجيباً بهذه الأبيات التي حوت معاني رائقة، ولفظاً عجيباً، وهو يشكو ما شكوته، ويرجو من عفو ربه وغفرانه ما رجوته، فقال:

إلى الله أشكو ما شكوت من التي ... لها عن هدى عَدْلٍ وليس لها عَدْلُ
تجور عن التحقيق جور أخي عمًى ... وقد وَضَحَتْ منه لسالكها السُّبْلُ
وكيف أرجِّي أن تتوب وللهوى ... عليها يدٌ سلطانُها ما له عِدْلُ
إلى غير مولاها توجَّهْ إلى الذي ... تريد وتخشى والخضوع له ذُلُّ

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٣/ ١٩٦، معجم الأدباء: ١٥/ ٦٥ ـ ٦٦، إنباه الرواة: ٢/ ٣١١ ـ ٣١٢، مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٧٤، إشارة التعيين: ٢٣١ ـ ٢٣٢، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٢٢ ـ ١٢٤، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١٢٤٥ ـ ١٢٥١، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٨، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٦٤ ـ ٦٦، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٦٨ ـ ٦٩، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، نزهة الأنام: ١٦٥، غاية النهاية: ١/ ٥٦٨ ـ ٥٧١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٤، حسن المحاضرة: ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣، بغية الوعاة: ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٤، طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٨، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، خزانة الأدب: ٦/ ٧٧.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن يحيى بن شجاع بن عياش، رشيد الدين، أبو الفضل الدمشقي =

(1) هكذا قرأتها بعد معاناة، ولا يتزن بها البيت

حضرتُ الصَّلاة عليه مرَّتين: بالجامع، وخارج باب الفرج، وشيَّعْتُه إلى سوق الغنم، ثم رَجَعْتُ لضَعْفٍ كان بي من مرضٍ قريب العهد، وكان يوماً مطيراً، وفي الأرض وَحَلٌ كثير. وكان على جنازته هيبةٌ وجلالة، ورِقَّةٌ وإخبات، وخُتِمَ بموته موتُ مشايخ الشَّام يومئذ، وفَقَدَ النَّاسُ بموته عِلْماً كثيراً، ومنه استفدتُ علوماً جَمَّة؛ كالقراءات، والتفسير، وفنون العربية، وصَحِبْتُهُ من شعبان سنة أربع عشرة، ومات وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك، رحمه الله، وجَمَع بيننا وبينه في جَنَّته، آمين.

وفي يوم الأربعاء خامس عشر جُمادى الآخرة توفي الشيخ الفقيه زين الدِّين يوسف بن إبراهيم بن يوسف الكردي، والشيخ أبو بكر المعروف بالمَرَاوحي[1]، والعماد علي بن الحجة الحنفي، والصَّدْر إبراهيم بن اللهيب، وغيرهم، وصلَّينا على الجميع جُمْلةً بعد الظُّهْر بالجامع، وشيَّعْتُ جِنازَة الزَّين الكُرْدي إلى نحو مقابر باب الصغير، رحمهم الله.

ثم توفي خطيبُ الجبل شَرَفُ الدِّين عبدُ الله[2] بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قُدَامة، والضِّياء محمد بن عبد الواحد[3]. والضياء

= المحتسب، المعروف بابن الهادي، ترك الحسبة مدة، ثم وليها في دولة الناصر داود سنة (٦٢٥هـ)، ترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٨١، وذكر وفاته سنة (٦٣٧هـ)، وذكرها سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» في حوادث سنة (٦٤٥)، وهو الأشبه، وانظر ص ٨ من الجزء الثاني.

(١) هو أبو بكر بن أحمد بن عمر البغدادي الزاهد، إمام مسجد حارة الخاطب بدمشق، له ترجمة في الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٢٣، الدارس: ٢/ ٣١١ (وفيه وفاته سنة ٧٤٣هـ)، وهو وهم.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥هـ) ـ وهو خطأ ـ العبر للذهبي: ٥/ ١٧٦، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥، المقصد الأرشد: ٢/ ٥٤، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٥٠ ـ ٢٥١، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، ضياء الدين، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥) ـ وهو خطأ ـ مشيخة ابن البخاري: ٤٤٥ ـ ٤٥٦، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٨٨ ـ ١٨٩، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٢٦ ـ ١٣٠، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٠٥ =

محاسن[١]، والسَّيف أحمد بن عيسى بن شيخنا الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة[٢]، وغيرُهم من مشايخ الجبل[٣].

وفي ليلة ثامن عشر شعبان توفي الفخر محمد بن عمر بن عبد الكريم الحِمْيَري، عُرِفَ بابن المالكي[٤]، السَّاكن بالمنارة الشَّرقية في بيت بني أبي جعفر، ودُفِنَ من الغد في مقبرة الصُّوفية، رحمه الله.

وفيها توفي النَّجْم بن سَلَّام[٥]، وكان تولَّى ديوان دمشق بالقلعة بعد

= ـ ١٤٠٦، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٩ ـ ١٨٠، فوات الوفيات: ٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧، الوافي بالوفيات: ٤/ ٦٥ ـ ٦٦، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٤٠، نزهة الأنام: ١٦٥ ـ ١٦٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٤، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٥٢، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(١) هو محاسن بن عبد الملك بن علي، التنوخي الحموي الصالحي، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٥) ـ وهو خطأ ـ سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٤٧، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ١٥٠، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٣٤، المقصد الأرشد: ٣/ ٢٣، الدارس: ٢/ ٩٩، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٥٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٣.

(٢) له ترجمة في طبقات علماء الحديث: ٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١١٨ ـ ١١٩، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٤٦ ـ ١٤٤٧، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٤، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٧٣، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٤١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٣، المقصد الأرشد: ١/ ١٥١، المنهج الأحمد: ٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٧.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): زيادة: توفي الضياء يوم الاثنين سابع عشري جمادى الآخرة من السنة، وهو محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، قلت: وهي زيادة من قارئ كما لا يخفى من سياق الخبر، والله أعلم.

(٤) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٦١.

(٥) هو نجم الدين الحسن بن سالم بن سلام الكاتب، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٢هـ)، وسير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١١١ ـ ١١٢، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٦، ونزهة الأنام: ١٥٦ وعندهم وفاته سنة (٦٤٢هـ).

قلت: سياق ترجمته عند أبي شامة يشي بأنه توفي في شعبان سنة (٦٤٣ هـ)، وقد أشار أبو شامة ص ١٥٧ من هذا الجزء أنه توفي قبل السخاوي، فلعله توفي في أوائل سنة =

الشَّمْس بن النَّفيس في سنة اثنتي عشرة وست مئة، ودام عليه، وله إحسانٌ وخير، وصَدَقَةٌ وتعصُّبٌ وضيافة.

وفي شهر شعبان أيضاً من سنة ثلاثٍ وأربعين وست مئة توفِّيَتِ الصَّاحبة ربيعةُ خاتون[١] ابنة نجم الدِّين أيوب، أخت صلاح الدِّين والعادل وغيرِهما من الملوك، وعَمَّةُ الكامل والأشرف والمُعَظَّم، وغيرُهم من الملوك، زوجة مُظَفَّر الدِّين صاحب إربل ـ رحمهم الله ـ ودُفِنَتْ في تُرْبتها بالجبل[٢].

وتوفي فيه أيضاً الأمير سيف الدِّين بن قليج[٣]، ودفن بمدرسته التي وَقَفَها بمسكنه بدار فلوس[٤].

وفي السَّابع والعشرين من شعبان توفي الشيخ الفقيه الصَّالح علاءُ الدين الكُرْدي عمر بن أبي بكر بن جعفر، وكان جاري بالمدرسة العادلية، ودفن في مقابر ابن زويزان، حَضَرْتُ دفنه والصَّلاةَ عليه، رحمه الله.

وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان توفي بدمشق الصَّاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حَمُّوية[٥]، وكان نائبَ

= (٦٤٣هـ)، أو في أواخر سنة (٦٤٢ هـ)، وهي السنة التي ذكر مترجموه أنه توفي فيها، والله أعلم. وانظر بعض أخباره في «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٦٣٦ هـ).

(١) لها ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، كتاب الروضتين: ٣/ ٢٤٦، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٧٤، الوافي بالوفيات: ١٤/ ٩٧ ـ ٩٩، نزهة الأنام: ١٦٢ ـ ١٦٣، شفاء القلوب: ٢٣٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٣، الدارس: ٢/ ٨٠ ـ ٨١، القلائد الجوهرية: ١/ ٢٣٧، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٨، منادمة الأطلال: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) دفنت بمدرستها المعروفة بالصَّاحبة تحت القبو كما ذكر في مصادر ترجمتها.

(٣) هو علي بن قليج، له ترجمة في مرآة الزمان (حوادث ٦٤٣هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٤٦، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٩٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٤٣هـ)، نزهة الأنام: ١٦١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٥، الدارس: ١/ ٥٦٩، منادمة الأطلال: ١٩٥.

(٤) هي المدرسة القليجية الحنفية، وقد درست.

(٥) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٣هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٠٠، العبر للذهبي: =

السَّلْطنة بها، وهو الذي فتحها للملك الصَّالح أيوب بن الملك الكامل، وأخذها من عَمِّه إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب؛ صاحب بَعْلَبَكَّ، وصُلِّيَ[1] عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ بالجبل عند أخيه عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، رحمهم الله. ومولد[2] معين الدين في سنة ثمان وثمانين وخمس مئة[2].

١٧٨ وفي يوم الجمعة العشرين من رمضان توفي شَرَفُ الدِّين محمد بن القاضي شرف الدين أبي طالب عبد الله بن زين القُضَاة[3] ـ رحمه الله ـ ودُفِنَ بالجبل، حَضَرْتُ الصلاة عليه بالجامع.

وفي ثاني شهر شوال توفي الأمير نجم الدين القَيْمُري عم ناصر الدِّين[4]، ودُفِنَ بالجبل.

وفيها اشتدَّ الغلاء بسبب قَطْعِ الخوارزمية الطُّرقات؛ ففي ثامن عشر شَوَّال بلغت غِرَارة القمح ست مئة دِرْهم ناصرية، نصفها ثلاث مئة دِرْهم، وبِيْعَ الخُبْز كلُّ رطلٍ بثلاثة دَرَاهم إلى أربعة دراهم على قدر تفاوت الأخبار، والله يكشف هذا الضُّرَّ برحمته، وكان ذلك في تاسع شهر آذار، وبقيت الصَّعاليك مرميين بالطُّرقات؛ كانوا يطلبون لقمة، ثم صاروا يطلبون لبانة، ثم صاروا يطلبون فلساً يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كما يطعم الدَّجاج؛ وشاهدتُ ذلك بعيني.

= ٥/ ١٧٥، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٤٦، تحفة ذوي الألباب: ٢/ ١٤٩ ـ ١٥١، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٣هـ)، نزهة الأنام: ١٦١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٨، وقد سلفت ترجمة والده ص ٣٣٥ من الجزء الأول.

(١) ضبطت في الأصل و(ب) بالمبني للمجهول، وفي (ك) و(ع) و(س): وصلَّى عليه بجامع دمشق جمال الدين بن محيي الدين بن الجوزي، قلت: وهي زيادة في النفس منها أشياء، ولم أر من ذكر ذلك فيمن ترجم له، وبخاصة سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وإخالها زيادة من قارئ، والله أعلم.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

(٣) سلفت ترجمة والده ص ٣٠١ من الجزء الأول.

(٤) سترد ترجمة ناصر الدين القيمري ص ٢٢١ من هذا الجزء.

ثم اشتدَّ الغلاء زيادةً على ذلك، فبلغ في آخر شهر شوَّال المذكور كل غِرارة حنطة بمئة دينار صورية ثم ناصرية، ثم سمعتُ أنه بِيْعَ عشرة غرائر بعشرة آلاف دِرْهم، وكتب بها وثيقة على المشتري إلى أجل شهرين، واشتريتُ أنا الخبز كل رطل بأربعة دارهم غيرَ مَرَّة.

ثم تفاقَمَ الأمر في حادي عشر ذي القَعْدَة، فبيع الخبز الأسود كل أوقيتين بدرهم، وخبز الشعير كل أوقيتين ونصف بدرهم، وبلغتِ الغِرارة في ثاني عشر ذي القعدة ألفاً ومئتي دِرْهم وخمسين درهماً فِضَّة ناصرية، وبيع الدَّقيق كل أوقية وربع أوقية بدرهم، كل رطل بنحو عشرة دراهم. وبيع الشعير كل كيل بخمسين درهماً، الغِرارة بست مئة درهم، والزَّبيب كل أوقيتين بدرهم، ثم بِيْع أوقية ونصف بدرهم، وكذا الدبس، وبلغت الحلاوة الجوزية من الدبس كل أوقية بدرهم، وسمعتُ مَنْ ينادي عليها وقد نزل السِّعْر بباب الجامع الغربي من باب البريد، يقول: أَرْخَصَ الله أسعار المسلمين، وكل أوقية بستة عشر قرطاساً. فقال بعضُ السَّامعين: كنا نأخذها بعشرة فلوس[1]، واليوم نفرحُ كيف وَصَلَتْ إلى ستة عشر قرطاساً!

وبيع الباقلا الأخضر كل رطل بدرهم وربع، والرز باللبن ثلاث أواق ونصف بِدِرْهم، والرُّز اليابس كل أوقية بدرهم، واللحم الرديء كل رطل بستة دراهم.

ولم تزل الأسعار في اشتدادٍ وارتفاع إلى أن بيع مُدُّ الحنطة بعشرين درهماً ونحوها، وبلغت الغِرارة ألفاً وخمس مئة درهم، وبيع الخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم، والرطل بسبعة دراهم في يوم عيد النحر وقبله.

ثم إن الله تعالى نَفَّس عن الناس بنزول السِّعْر من بعد عيد الأضحى، ولم يزل يأخذ في النزول إلى أن بيع الخبز آخر السنة كل رطل بدرهمين، واللحم كذلك.

---

(١) في النسخ الخطية ما خلا الأصل: بعشرة فلوس الوقية، بزيادة الوقية.

وفي سَلْخ محرَّم بيع كل رطل وثلث بدرهم، وفي جمادى الآخرة رطل ونصف بدرهم.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وست مئة

أولها يوم الجمعة، ففيه كُسِرَتِ الخوارَزمية أشدَّ كسرة، وقُتِلَتْ ملوكُهم، وسُبِيَتْ نساؤهم، وغُنِمَتْ أموالُهم بين أرض بَعْلَبَكَّ وحِمْص، كَسَرَهم الملكُ المنصور إبراهيم بن المجاهد أسد الدِّين شِيركُوه صاحب حمص، ومعه جيوشُ حلب وحماة وغيرِهما من البلاد.

وجاءنا الخبر بذلك يوم السبت ثاني الشهر إلى دمشق، فَبِيْعَ الخُبز كلُّ رَطْلٍ بدرهم ونصف، والحمدُ لله على هذه النِّعَم، ونسأله المزيد بفَضْله وكرمه، ثم تُسُلِّمتْ قلعةُ بعلبك من نوَّاب الصَّالح إسماعيل، ثم تُسُلِّمت قلعة بُصْرى منهم.

وممن قُتِلَ في تلك المعركة بركة خان مُقَدَّم الخوارزمية[1] وسُلْطَانهم، وحُمِلَ رأسه إلى حلب.

وفي حادي عَشَر صفر توفي الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد[2]، صاحِبُ
١٧٩ حِمْص بالبستان الأشرفي بالنَّيْرَب ظاهر دمشق، ونُقِلَ إلى حمص.

وقبله بأيام توفي الصَّائن محمد بن حَسَّان بن رافع العامري[3] بقَصْرِ

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٤هـ)، الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٢١، نزهة الأنام: ١٧١ ـ ١٧٢، السلوك للمقريزي: ج١/ ق٢/ ٣٤٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٤هـ)، وفيات الأعيان: ٢/ ٤٨١، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٧٦، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢٢١، العبر للذهبي: ٥/ ١٨٣، الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٠ ـ ٢١، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٤هـ)، نزهة الأنام: ١٧١، شفاء القلوب: ٣٣١ ـ ٣٣٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٦، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢٩، ترويح القلوب: ٣٨.

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨، العبر للذهبي: ٥/ ١٨٤، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٤هـ)، نزهة الأنام: ١٧٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٧، شذرات الذهب: ٥/ ٢٣٠.